كيف تربي المرأة ذاتها ؟

أسماء بنت راشد الرويشد

دار الوطن للنشر

كيف تربي المرأة ذاتها؟

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)

أسماء بنت راشد الرويشد

دار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس :٤٧٢٣٩٤١ - ص ب : ٣٣١٠

- البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الإنترنت : www.dar-alwatan.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كيف تربي المرأة ذاتها؟

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٧ ـ ١٠] والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيظل معين التربية الإسلامية بأسسه ومنطلقاته منهلاً تربوياً غنياً لا ينضب مع مضي الزمان وتعدد وقائع الأحوال، فالمنهج التربوي الإسلامي منهج ينبثق من نصوص الكتاب والسنة، وعنايته موجهة بالدرجة الأولى إلى تزكية النفس وتهذيبها من نزغات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها.

وفي هذا الموضوع سنتعرض لبيان أهمية تربية النفس، ودعوة الشرع إليه وشحذ همة المرأة المسلمة إلى تربية ذاتها بطرق وخطوات قائمة على المنهج التربوي الشرعي الصحيح؛ حتى تنضم إلى ركب المؤمنات المفلحات.

ويمكن التعبير عن عملية تربية النفس بأنها: عملية النهوض بالنفس إلى المستوى الرفيع من التكوين العقدي والسلوكي الشرعي .

وقد ربط القرآن الكريم النجاح والفلاح بتزكية النفس بالإيمان والتقوى، وربط الخيبة بتدنيس النفس بالكفر والعصيان.

قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾

[الشمس: ٧ ـ ١٠].

وللتربية أثرٌ عظيم في تزكية النفس؛ ولذلك كانت من مهمات الرسول ﷺ تزكية نفوس الناس، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

والنفس البشرية قابلة للتوجيه والتعديل، والخير المركوز فيها قابل للتنمية، بالتدريب والتعليم وتكرار المحاولات، وتشهد لهذه القابلية نجاح المحاولات التربوية الجادة لتوجيه النفس وتعديلها.

وقبل الحديث عن خطوات تربية المرأة لذاتها، لابد لنا من التنبيه على أسسٍ وأُطرٍ تربوية عامة لابد للمرأة أن تعتني بها وهي تباشر عملية التربية سواءً مع نفسها

أو مع الآخرين، ومنها:

١ ـ أن تتوفر في عملية التربية النية الصالحة، وأن يكون غاية المرأة ومقصودها في التغيير الإيجابي في نفسها مرضاة الله تعالى، ونيل الثواب الأخروي، فالأعمال تتحدد قيمتها وتتحقق آثارها المباركة بحسب ما وقر في القلب من نيات ومقاصد يعلمها الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]. وكما في الحديث المشهور: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» ويقول ابن الجوزي: «اصدق في باطنك ترى ما تحب في ظاهرك».

٢ ـ مراعاة التدرج في البناء التربوي، لأن عملية

التربية ليست عملية تحويل مفاجئ دفعة واحدة، والرغبة في الإنجاز السريع على خلاف سنة الله تعالى في كونه؛ إذ مع قدرته على الإيجاد بقوله كن فيكون، لكنه تبارك وتعالى اختار لنفسه سنة الإنشاء المتدرج، ومن صفات الله تعالى أنه رب العالمين، والتربية هي إنشاء متدرج لإبلاغ الشيء إلى مستوى كماله.

٣ ـ إعطاء النفس فرصة للتعود وتصبيرها ومكابدتها، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقول النبي ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم». وتتلخص هذه الخطة التربوية في ممارسة السلوك الإيجابي المزاحم للطبع السلبي،

وبتكرار السلوك المزاحم وتنميته يضمر الطبع السلبي، وذلك لأن في الإنسان استعداداً فطرياً لإيلاف ما يتكرر عليه مرة بعد مرة، ومن ألف شيئاً أحبه وشعر بالحاجة النفسية إلى معاودته.

ومما يحكى عن بشر الحافي أنه سار ومعه رجل في طريق فعطش صاحبه فقال له: نشرب من هذه البئر؟

فقال بشر: اصبر إلى البئر الأخرى، فلما وصلا إليها قال له: البئر الأخرى.. فما زال يعلله.. ثم التفت إليه فقال : هكذا تنقطع الدنيا.

وروى الأوزاعي عن التابعي الجليل عبدالله الخزاعي قوله : «**عالجت لساني عشرين سنة قبل أن يستقيم لي**».

وروي عن أبي المعتمر أنه قال: «أمرٌ أنا أطلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه أبدًا، قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: «**الصمت مما لا يعنيني**».

ويقول ابن المبارك: «إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كرهٍ، فينبغي لنا أن نُكرِهها».

وإذا كان هذا قول ابن المبارك فنحن بلا شك نعيش أشد المعاناة مع نفوسنا، ونلاقي منها معاندة عن قبول الحق، ونحتاج إلى مكابدة من نوع خاص.

٤ ـ تذكري أن تربية النفس ليس معناها إلغاء طبائع النفس الفطرية، وإنما تعمد إلى استغلالها وتحويلها وتوجيهها وتهذيبها، فالإسلام ما جاء

ليحجر الفطر، وإنما جاء ليقومها ويصحح مسارها.

مثال ذلك: حب الزينة لدى المرأة والحرص على الكسب ونحو ذلك.

٥ - **إيجاد الحافز الذاتي، الذي يشكل القوة الداخلية عند الإنسان الموجهة لإرادته والدافعة له؛** والحافز الذاتي لدى المؤمن هو الإيمان بالله تعالى، وباليوم الآخر، وبقضائه وقدره، وبالتأمل في الجزاء الذي وُعِدَ به، فهذا الحافز قوة فوق كل القوى، فمتى بنيت هذه القاعدة الإيمانية في أعماق قلب الإنسان فإنها ستهيمن على فكره وقلبه وعواطفه وإرادته، بحيث تعمل على ربط إرادته بما يرضي الله تعالى، وتتحكم في أنواع

سلوكه الداخلي والخارجي وفق ما أمر الله تعالى به رغبةً ورهبةً، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ ـ ٤١]، فنهي النفس عن الشر وتزكيتها لا يتم إلا بالخوف من العظيم الجليل الرقيب الحسيب، الخوف منه تعالى بمقتضى ما أخبر به عن نفسه من عظمته، وقدرته، وعزته، وجبروته، وبطشه، وغيرته، وانتقامه، واطلاعه عليه في كل لحظة وخاطرة، وهذا من أهم روافد البناء التربوي الذاتي الذي يورثه الإيمان بالله تعالى بألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو الذي يشعل جذوة الخوف في القلب، وبخاصة في وقت الحياة والصحة، ثم هناك الخوف من اللحظة الأخيرة

وسوء الخاتمة، وهذا بمثابة الحافز المحرك نحو عملية التربية والإصلاح على الدوام، وكذلك الخوف من حدوث العقوبات الربانية العاجلة والآجلة.

ثم إن المؤمن بالله تعالى وبقدرته وحكمته يقابل مقادير الله بالرضا والتسليم، فيصبر، ولا يضجر، ولا يسخط، ولا يحسد، لأنه يعلم أنها من تدبير الحكيم العليم الرحيم، وتكوين هذه القاعدة يكون عن طريق اكتساب العلم، والتعرف على ما أخبر الله به من أصول الإيمان وأمور الغيب في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وهذا الحافز في مستواه الأعلى يوصل الإنسان إلى مرتبة الإحسان في معظم أعماله، ويجعله من السابقين إلى الخيرات بإذن الله.

٦ ـ التركيز على عملية التحويل والتصعيد، وتكون بتحويل رغباتْ النفسْ إلى جانب من جوانب الخير، ومن ثم توجيهها إلى معالي الأمور، ولما فيه سعادة خالدة، أو مجد حقيقي، ولما فيه كمال ورفعة في الدنيا والآخرة، وهذه القاعدة متعلقة بسابقتها من حيث إنها مرتبطة بالإيمان بالغيب.

ومن أمثلة ذلك: من ترى في نفسها طمعاً مفرطاً في متاع الحياة الدنيا وزينتها، فتشتغل بملء قلبها بالإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، ومعرفة أحواله وما فيه من جنة ونعيم مقيم وأجر عند الله عظيم، ثم التأمل في تفصيلات ذلك النعيم الواردة في صحيح الأخبار، ثم تعمل على توجيه طمعها وتحويله إلى ما

عند الله تعالى، ثم تجري عمليات تصعيد ما لديها من حرص وطمع وحب لمتاع النفس إلى تحصيل ذلك المأمول الأخروي، وبذلك تنفك شيئاً فشيئاً عن التعلق بمطامع الحياة الدنيا، طلباً لما هو أجلّ وأعلى وأدوم، فعندها تجد نفسها قنوعة راضية غير مفرطة في الطمع الدنيوي، ومن هذا الأصل التربوي ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه : ١٣١]، **والآن:**

كيف تربي المرأة ذاتها؟

هناك خطوات وطرق كثيرة جداً لتحقيق تلك الغاية، لكني في هذا البحث سأقتصر على الخطوط العريضة والكليات، وسأغفل الفروع والجزئيات تجنباً

للإطالة:

١ ـ شدُّ الرحال إلى تنقية القلوب وإصلاحها، فالاعتناء بعملية تربية النفس وتزكيتها لابد أن يكون موجهاً توجيهاً أولياً، ومركزاً على تهذيب السلوك الداخلي، ومراقبة أخلاق الباطن، إذ سينتج عنه استقامة السلوك الخارجي لا محالة، فالاهتمام بأحوال القلوب وإصلاحها من أهم مقومات تربية النفس، كما قال النبي ﷺ **«ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»** إلى جانب أن توجيه العناية إلى تقويم السلوك الظاهر فقط يكون كالبناء على غير أساس، وكل بناء على غير أساس عرضة للانهيار، يضاف إلى ذلك أن

السلوك الظاهر قد لا يكون معبراً تعبيراً صادقاً عن أحوال النفس الداخلية؛ كما هو الحال عند المنافقين، ولذلك كان نظر الله تعالى في مراقبته لأعمال عباده موجهاً لما في قلوبهم ونفوسهم.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

وعلى ذلك فلكي يِظهر أثر العملية التربوية لابد من تطهير هذه المضغة من كل ما يخالف تعليمات الوحي، إذ إن تلك التعليمات والكلمات لا تقبل الخلطة والذوبان بما يعارضها، ولا تستقر إلا في مكان طاهر يليق بقدسيتها.

٢ ـ **الحرص على العلم والتعلم، وفهم أمور الدين**

الواجبة، وما من طريقة من طرق التربية ووسائلها إلا وهي متعلقة تعلق وثيق بالعلم، واكتسابه، والانتفاع به، وكذلك فهم القرآن، والتواصل معه قراءةً وتدبراً وعلماً وعملاً، وأخص هذه العلوم وأنفعها في عملية التربية، العلم بالله تعالى الذي يحقق التوحيد الخالص والإيمان الصحيح.

فعلى مقدار التدبر والفهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ يكون التوفيق والنجاح في تقويم النفس وتزكيتها:

وقد أفرد البخاري بابًا سماه: [باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟].

حيث جاء فيه أن نساء الأنصار قلن لرسول الله ﷺ: «اجعل لنا يوماً من نفسك نتعلم فيه، فقد غلبنا

عنك الرجال، فقال : «موعدكن في دار فلانة» فأتاهن فيها فوعظهن، وذَكَّرَهن، وعلَّمهن. وهذا مما يؤكد ضرورة طلب العلم الشرعي عند النساء.

٣ ـ محاسبة النفس واتهامها، مع الاهتمام بآنية المحاسبة، بحيث يحاسب الإنسان نفسه على كل خطأ يقوم به في نفس الوقت، وهذا يحتاج إلى يقظة دائمة وانتباه للأخطاء وحركات النفس، واتهامها قبل اتهام الآخرين والبحث عن عيوبهم، والحذر من الوقوع في وهم الكمال الذي يجعلنا لا نلتفت إلى نواقص أنفسنا، فتتراكم العيوب ونحيد عن الطريق.

إن المحاسبة بمثابة صراع المؤمن مع نفسه الأمارة بالسوء التي تنسيه الآخرة والاستعداد لها.

يقول يحيى بن معاذ: من سعادة المرء أن يكون خصمه فَهْمًا، وخصمي لا أفهم له، قيل له: ومن خصمك؟ قال: نفسي، تبيع الجنة بما فيها من النعيم المقيم بشهوة ساعة».

فزكاة النفس وطهرتها موقوفة على محاسبتها فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح إلا بمحاسبتها.

قال الحسن البصري : يا ابن آدم، إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بعلاج ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان كذلك.

وقال بكر المزني ـ رحمه الله ـ: إذا رأيتم الرجل

موكلاً بعيوب الناس، ناسياً لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ به».

ومن مواقف المحاسبة المنقولة عن السلف قول أحدهم: «**ما عرضت قولي على عملي إلا خفت أن أكون مكذباً**».

بمثل هذه المحاسبة يستمر العمل ويزداد، وتحفظ النفس من الانحراف عن الجادة .

٤ ـ **حدِّدي هدفك**: من المعلوم أن الله تعالى لم يخلق الحياة عبثاً ولم يوجد الإنسان هملاً، قال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١٥٥ ـ ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا

﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦].

فلابد للمرأة المسلمة أن تجعل لكل وقت في حياتها عملاً، وأن تجعل لكل عملٍ هدفاً نافعاً ومشروعاً تسعى لتحقيقه، وتنظم حياتها على هذا الأساس، مع وضع خطة للوصول إليه، بحيث لا يبقى الهدف أفكاراً وآمالاً فقط، وأن تعقد العزم على الوصول إليه بلا أدنى تردد، مع الحذر من التعود على القيام بأعمال لا هدف لها، ولو تأملنا سير الناجحين في حياتهم، لرأينا أن النجاح في حياتهم كان بقدر ما كانوا يرسمون لحياتهم من أهداف.

قال الحسن البصري عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: «ما ظننت عمر خطا خطوة إلا وله فيها نية». ومقولة سلمان الفارسي رضي الله عنه توكد هذا

المعنى: «إني لأحتسب نومتي كما احتسب قومتي».
وأكرم هدف وأسمى غاية يسعى لها كل مسلم في حياته هو بلوغ مرضاة رب العالمين، ولابد لتحقيق هذا الهدف من وسائل توصل إليه، وهي في ذاتها تعد أهدافاً موصلة لتلك الغاية الكبرى .

قد يتساءل بعضنا: هل هذا يعني أن تكون الحياة كلها عبادة وجدٌ، لا مكان فيها لإعطاء النفس مطالبها من الترويح والاستجمام مثلاً؟

الجواب : لا، بالطبع، فالنفس لا تطيق ذلك، ولكن نقول حتى طلبك للترويح في وقته المناسب وبالكيفية المناسبة من الممكن أن يكون هدفاً مقصوداً أو مشروعاً، وضمن منظومة الأهداف الصغرى الخادمة والموصلة إلى الأهداف الكبرى، ولابد عند وضع

الأهداف من مراعاة الأولويات، والأهم فالمهم، إذ إن بعضنا قد ينشغل بالكماليات والثانويات، أو المندوبات والمباحات، ويستنفد وقته فيها، ويفرِّط في الضروريات والفرائض والواجبات، فيكون كمن بذل جهده واستفرغ وسعه في اختيار ألوان منزله وتزيينه، وقصَّرَ تقصيرًا كبيرًا في قواعد وأعمدة ذلك المنزل، فآل به الأمر إلى أن انهدم المنزل على من فيه، هكذا حياة بعض النساء، تجري وراء المظاهر الفارغة والمجاملات والسطحيات التافهة، وإذا فتشتِ في حياتها لتبحثي فيها عن علم نافع، أو عمل زاكٍ، لأعوزك ذلك، وهذا يقودنا إلى الإشارة إلى قضية أخرى مهمة، وهي أن الحياة محدودة، والوقت لا يتكرر، ومن قضى أوقاته ومضت حياته في الاشتغال

بتوافه الحياة وصغارها عاش في قاعها، ولم يتسنَّ له الرقي إلى ذُرَاها وقممها، فمن الناس من يقضي أوقاته في اللهو والكسل، ولو قضى هذه الأوقات في عبادة ربه من صلاة، وقراءة، وذكرٍ، وصلةٍ، وبِرٍّ، وسعي على مسكين، أو مزاولة عمل نافع، أو اكتساب رزق، لكان حاله غير حاله، لكنه أضاع الوقت ورضي بالدون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١١٠].

وما أصيب العاقل بمثل مصيبة ضياع الأوقات، لأن اللحظة التي تمر لن تعود أبداً، وما فاز من فاز وسبق من سبق إلا بإدراكه لقيمة الوقت، ومبادرته للاستفادة منه بكل ما يستطيع، وكلما تعودتِ على حفظ أوقاتك واستغلالها فيما ينفع، دفعكِ ذلك إلى تنظيم جميع

أمور حياتك، والارتقاء بنفسك إلى معالي الأمور وكبارها، أما أهل البطالة والفوضى فليس في حياتهم أرخص من الأوقات يقضونها في اللهو، والتوافه، والكسل، ولا يفكِّرون في استغلالها، بل يتنادون بقتلها، وما علموا المساكين أنهم يقتلون أنفسهم، وكما قيل : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

٥ ـ **الإكثار من القرب والطاعات:** فعلى المرأة التي ترغب في الوصول إلى القمة وبلوغ الدرجات العالية عند ربها أن تكثر من الطاعات، والتماس مرضاة رب العالمين، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى : ١٤ ـ ١٥].

فالأعمال الصالحة تقوي الإيمان وتزيده، ومن الأعمال الصالحة التي لها خاصية في تزكية

النفس: الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

أ ـ الصلاة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً. هل يبقى من درنه؟**

قالوا : لا يبقي من درنه شيئاً، قال: **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».

قال ابن العربي: «وجه التمثيل أن المرء كما يدنس بالأقذار المحسوسة بدنه وثيابه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنباً إلا أسقطته».

ب ـ الصدقة :

قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. يقول ابن تيمية: «إن الزكاة تستلزم الطهارة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الشر و﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ بالخير...».

ج ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

٦ ـ حفظ الجوارح: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

يعرِّف علماء السلف الإيمان بأنه تصديق بالجنان،

وقول باللسان، وعمل بالجوارح، فلا يتم الإيمان من غير عملٍ، والذي يقوم بتلك الأعمال الجوارح، وبخاصة في المناطق الرأسية، كالسمع والبصر واللسان، وصلاح القلب متعلق بحفظ هذه الجوارح، وفساده أيضاً متعلق بإهمالها وتضييعها.

قال أحد التابعين: «إذا أردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ جوارحك». وقد كانوا يحرصون على الابتعاد عن كل ما يفسد هذه الجوارح، فكان أحدهم يطرد من يغتاب من مجلسه، وكان بعضهم يبكي بكاء مريرًا من أجل كلمة يحسب أنها من الزلل الذي لا يليق بمثله.

يقول النخعي : «إني لأرى الشيء مما يعاب فما يمنعني من أن أعيبه إلا مخافة أن أبتلى به» . فقد

تحرمين بسبب كلمة، أو نظرة، تحصيل علم، أو نيل فائدة، أو ضبط آية.

٧ ـ الإخاء على طريق الخير والانغماس في بيئة صالحة:

إن من طبيعة الإنسان أن يتأثر بالبيئة التي يخالطها، والرفقة الصالحة من أبرز طرق تربية النفس وأكثرها فاعلية؛ لأن من طبيعة الإنسان أن يتأثر بالبيئة التي يخالطها بالاندماج، والموافقة، والاكتساب، لأجل ذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقول النبي ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر

أحدكم من يخالل» وفي بيان ذلك يقول الحسن البصري: «أخٌ لك كلما لقيك ذكَّرك بحظك من الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً».

فالأخوة عون على الثبات على الطريق، حتى الوصول إلى الجنة بإذن الله تعالى.

لذلك كان من واجبات التربية النافعة للنفس التوجيه والإلزام بمصاحبة الخيِّرات والجادات، والبعد عن مصاحبة السيِّئات والتافهات، لأن كل عمل إصلاحي للنفس لا يؤتي نتائجه المطلوبة ما لم يتم اعتزال صحبة السوء والتواصل مع الصحبة الصالحة.

٨ ـ آكد ما ينبغي أن تربي المرأة نفسها عليه التحرر من التبعية والتقليد لأهل الباطل، وتسعى في تحقيق شعور الانتماء لهذا الدين، والاعتزاز به،

والسير وفق ما تمليه عقيدة المؤمن من الولاء والبراء محبةً وبغضاً، وعطاءً ومنعاً، قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

فلتحذر المرأة المسلمة من أن تكون إمعة، إذ الإمعة هو الذي لا رأي له ولا عزم، فهو يتابع غيره على رأيه، ولا يثبت على شيء، وهو ما يسمى بالتقليد الأعمى.

٩ ـ **الدعاء**: وهو الوسيلة الأولى لإصلاح النفس وتزكيتها، لأن الأمر كله يعود إلى مشيئة الله تعالى، وتدبيره وتيسيره.

قال تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُۚ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام : ٣٩].

إلى جانب أن الدعاء جزء من الذكر الذي يذكِّر الإنسان بخالقه جل وعلا، واللجوء إليه بضعفه البشري والاستعانة به على أعدائه الذين بين جوانحه، ومن بينهم هذه النفس الأمارة بالسوء.

ومن دعاء الرسول ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها وزكَّها أنت خير من زكَّاها أنت وليُّها ومولاها» [رواه مسلم].

وختامًا: نسأل المولى الكريم الذي بيده مقاليد الأمور أن يصلح شأننا كله، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبدًا، ولا أقل من ذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على نبينا محمد.

❊ ❊ ❊

من إصداراتنا

DAR-ALWATAN
300578
SR 1.00

دار طيبة للنشر والتوزيع
ت:٤٢٥٣٧٣٧ - ف:٤٢٥٨٢٧٧
130384
SR1.00